بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القدس

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

القبر في الشعر الجاهلي

إعداد

روحي ثروت علي عمران

إشراف

الدكتور إحسان يعقوب الديك مشرف أول

الدكتور مشهور الحبازي مشرف ثان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة القدس

القدس - فلسطين

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

فهرس المحتـــويات

الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج - هـ
التمهيد	١ - ٦
شكل القبر وبناؤه	٧ - ٨
الفصل الأول : القبر في الفكر القديم	٩ - ٢٨
المبحث الأول : القبر في الفكر السامي القديم	٩ - ١٩
المبحث الثاني : القبر في الشعر الجاهلي	٢٠ - ٢٤
المبحث الثالث : شكل القبر وبناؤه	٢٥ - ٢٧
الفصل الثاني : مواضع ورود القبر في الشعر الجاهلي	٢٨
- العقر على القبر والناقة البلية	٢٩ - ٣٦
- صب الخمرة على القبر	٣٧ - ٤٠
- الدعاء بسقيا القبور	٤١ - ٤٧
- علاقة الروح بالقبر (الهامة والصدى)	٤٨ - ٥٣
- الضبع والذئب والقبر (نبش القبور)	٥٤ - ٥٩
- الطير والقبر (الغراب ، النسر ، العنقاء ، الهدهد)	٦٠ - ٦٥
- الحية والقبر	٦٦ - ٦٨
- البئر والقبر	٦٩ - ٧٢
- القبر وعجز الإنسان أمام الموت	٧٣ - ٧٤
الفصل الثالث : الصورة الفنية للقبر في الشعر الجاهلي	٧٥
- صورة القبر (دراسة فنية)	٧٦ - ٩٥
- أبعاد صورة القبر	٩٦ - ٩٧
- البعد الديني (الأسطوري)	٩٨ - ١٠٣
- البعد الرمزي	١٠٤ - ١٠٨

- البعد النفسي	١٠٩ - ١١٢
- البعد الاجتماعي (الخلقي)	١١٣ - ١١٦
الخاتمة	١١٧ - ١٢٠
معجم أشعار القبر	١٢١ - ١٣٤
مواضع أحرى للقبر في الشعر الجاهلي	١٣٤ - ١٣٦
قائمة المراجع والمصادر	١٣٧ - ١٤٣

الخاتمة

وأخيراً يمكن إيجاز البحث في النقاط التالية :

أولاً : القبرُ في اللغة ، هو المكان الذي يوارى فيه جسد الميتِ ، ويختفي فيه إلى الأبد وهناك مرادفاتٌ للقبر تحمل معنى القبر نفسه من مثل الاختفاء والاستتار عن الأنظار ، وهذه المرادفات هي : الرمسُ ، واللحدُ ، والهوةُ ، والضريحُ ، والزوراءُ ، والملحودةُ ، والصيرُ ، والحفرةُ ، والجننُ ، والجدثُ ، والرِّيمُ ، الجولُ ، والرجمُ ، والوجرُ .

ثانياً : شكلُ القبر وبناؤه يختلف من بيئة إلى أخرى حسب مناخ وتضاريس كل منطقةٍ جغرافية وتضاريسها من جهة ، وحسب معتقد كلّ أمةٍ ، من جهة ثانية هناك قبر على شكل حفرة في الرمل عند أهل الصحارى ، وهناك قبور مكللة ، وهناك أضرحة وقباب مضروبة على القبور ، وهناك مقابر عامة وعائلية ، وهناك قبور تحت مصاطب البيوت ، وقبور محفورة في الصخر والكهوف وقبور بيضاوية الشكّل كما عند قدماء المصريين من قبور داخل الأهرامات .

ثالثاً : كان القبرُ سُنَّةً متبعة لدى جميع الشعوب القديمة ، فمنذ فجر التاريخ وبدء الحياة على المعمورة ومن اللحظة التي قتل فيها قابيل أخاه هابيل عرفَ الإنسان عن طريق الغراب سُنَّةُ الدَّفن . وكان أول قبرٍ حفر في الأرض لإنسان هو قبر هابيل بن آدم – عليهما السلام – ، وهكذا ترسَّخت سُنّة الدفن وتطورت لدى الأمم القديمة وتنوعت معتقداتهم لما بعد الموت .

رابعاً : لم يكن الفكر الجاهلي بمعزلٍ عن الفكر السامي القديم ، بل كان الفكر السامي الرافد الدائم للشاعر والإنسان الجاهلي في نظرته للقبر والحياة بعد الموت ، وتنوعت نظرة الأمم القديمة للقبر فمنهم من اعتبر الموت بمثابة انتقال من عالم البشر إلى عالم الآلهة كما كان في أوغاريت ، ومنهم من اعتقد بأن القبر هو المأوى الأخير للإنسان وهو دار النعيم الأبدية ، تأوي إليه الأرواح بعد استقرار الأجساد في القبور لهذا تفنن المصري القديم في تشييد القبور فبنى الأهرامات التي ما زالت ماثلة حتى يومنا هذا . وكان المصريون القدماء يحترمون القبور ويقدسونها فلا يجوز لأحد ارتكاب أيَّ شيءٍ مخالفٍ للخشوع والآداب بالقرب منها . والقبرُ عند البابليين هو العالم الأسفل ، والأموات يذهبون إلى مكانٍ مظلمٍ في جوف الأرض . ومن طقوس دفن

الموتى لدى الكنعانيين بعامة ، والفينيقيين بخاصة ، أنّهم كانوا يدفنون مع الميت أدوات وأواني وأطعمة وأشربة معتبرين ذلك من قبيل التزود إلى الرحلة للعالم الآخر ، وهكذا فعل المصريون القدماء بالإضافة إلى قيامهم بتحنيط جثث موتاهم من الملوك والحكام ، لأن الروح عندهم تبقى ما دام الجسدُ سليماً من التلف .

خامساً : لم يكن الإنسان العربي مغرقاً في البداوة والسذاجة إلى الحد الذي نقلته لنا بعض المؤلفات ، بل كان يحمل إضافة إلى قيمه وثقافته موروثاً عظيماً منْ ثقافات الأمم السابقة ، فتشابهت نظرته للقبر مع كثيرٍ من معتقدات الأمم القديمة فاعتقد العربي بأنّ المقابر مجتمع الأرواح حول القبور ، تطيرُ فوقها مرفرفة . وقد أطلقوا عليها اسم الهام والصدى ، وتتفق هذه النظرة مع نظرة الفينيقيين وسائر الأمم القديمة للقبر ، حيث كانوا يعتقدون بوجود روح تفارق الجسد عند الموت ، ولكنها تظل على اتصالٍ وثيق به ، وهكذا نظر الإنسان الجاهلي إلى القبر نظرة احترامٍ وتقديس ، وحلّ القبر في ذهن العربي مقاماً سامياً فاتعظ الجاهلي بالقبر ، وكان القبر بمثابة الرمز الحي للميت الغائب .

سادساً : كان العرب ينحرون على قبور موتاهم النوق ، ثمّ يقومون بتبليلها بالدّم ، بما يسمى بالعقر على القبور كطقسٍ دينيٍّ وشعيرة من الشعائر الدينية والعقائد الجاهلية التي لها علاقة بروح الميت واعتقادهم بأن موت الإنسانّ لا يمثل فناءً تاماً ، وإنّما هو انتقالٌ من حالٍ إلى حال ، وهناك فرقٌ بين الناقة العقيرة والناقة البلية ، فالناقة العقيرة هي التي تعقر عند قبر الميت ، بينما الناقة البلية هي التي تربط على القبر معكوف رأسها إلى مؤخرها وتترك حتى تهلك جوعاً وعطشاً ، اعتقاداً منهم بأنّ الميت يحتاجها ليوم الحشر ، كي يحشر راكباً وليس ماشياً ، وربما كان كل ذلك من باب تقديس العربي للقبر .

سابعاً : عادة صب الخمر على القبر مارسها أكثر الجاهليين ، فكانوا إذا مات لهم عزيز يقيمون على قبره يشربون الخمرة ويصبونها على قبره من باب منادمة الميت ، وكانت الخمرة في اعتقادهم شراباً مقدساً يشربونها لاكتساب صفة القداسة .

ثامناً : وقد تكرر في الشعر الجاهلي الدعاء بسقيا القبور ، وربطوا ذلك بفكرة العطش والصدى والهامة ، ورغبة روح الميت في الماء ، فهي دائماً تصيح : اسقوني ، اسقوني ، طالبةً الثأر للميت القتيل لتهدأ روحه وتسكن . والدعاء بسقيا القبور هو بقايا طقس ديني قديم ترسّب في ذهنية الشاعر الجاهلي من الحضارات القديمة ، وبخاصة البابلية .

تاسعاً : فيما يتعلق بالهامة والصدى اعتقد العرب بأنّ النَّفس هي الدم الذي يخرج من جسم الإنسان ، ومنهم من اعتقد بأنها الهواء الذي في جسم الإنسان ، وكذلك كانوا يعتقدون أنّ النفس طائرٌ ، فإذا مات أو قتل تظلُّ هذه الروح هائمة محلقة تطوف وتصرخ على القبر مستوحشة ، يكون هذا الطائر صغيراً ، ثمّ يكبر حتى يصير كالبوم ، واعتقد بعضهم أنّ هذا الطائر يخرج من هامة الميت ، فلا يزال يصرخ ويقول : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره فتسكن روحه وتهدأ .

عاشراً : ارتبط اسم الضبع في ذهن الشاعر الجاهلي بالموت والقتل والقبر ، وزعموا أنّ الضبع تحيض ، وأنها تأكل جثث القتلى ، وهي مولعة بنبش القبور وأكل الموتى وتمتاز الضبع بكثرة ما تثيره من تصورات مثيولوجية للموت وبشاعته ، وحالة ما بعد الموت ذلك المصير المرعب الذي يمثل العبث بالجثث والضياع ، ما شكّل هاجساً مرعباً اقترن بحالة الفزع من الموت والقبر

حادي عشر : ومما يتصل بالقبر ، الطير ، وبخاصة : الغراب ، والنسر ، والهدهد ، والعنقاء ، فقد ارتبطت صورة الغراب بالموت والقبر من عهد قابيل وهابيل وكانوا يعتقدون أنّ النسر يعيش في جثث الموتى ، وكان يمثل رمزاً للأم الكبرى .

ثاني عشر : وقد ارتبطت الحيّة بالقبر في الشعر الجاهلي وذلك ليس بمعزل عن الفكر القديم ، وزاد من هذا الارتباط طبيعةُ الجزيرة العربية الصحراوية المليئة بالأفاعي التي طالما عانى منها الإنسان الجاهلي ومن لدغاتها القاتلة .

ثالث عشر : يوجد وجه شبه بين البئر والقبر ، من حيث أن القبر هو المهد الذي يجنون فيه الميت ، وهو البئر التي تسترد ماء الحياة . وكان العربي يعتقد بأنّ الأرواح تستقر في الآبار القديمة التي تُستعمل كمقابر تُلقى فيها الجثث .

رابع عشر : اعتمد الشاعر الجاهلي في تصوير القبر على التشبيه تارة ، والاستعارة تارة أخرى ، ومزج معهما شيئاً من المجاز والكناية ، وقد ركّزَ في بعضِ الأحيان على عناصر الصورة ، مثل : اللون والحركة والزمان والمكان والصوت . وقد اتسمت نظرة الجاهليين للقبر بشيءٍ من الخوف ، فاعتبروه الدار السَّرمدية ودار الفناء ، وبيت الدود ، وبيت الوحشة .

خامس عشر : لم يكن وصف الشعراء الجاهليين للقبر وصفاً مباشراً مستقلاً ، إذ لا نجدُ لوحةً كاملة تصف القبر بمعزل عن صورٍ أخرى مما يتصل به ، وقد وردت صورة القبر من خلال حديثهم عن الموت ووصف الفاجعة .

سادس عشر : من الخصائص اللفظية لشعر القبر نجد بعض الشعراء يميل إلى استعمال الألفاظ التي توحي بالمعنى ، وتشعر بالحركة ، وكان بعض الشعراء يكرّر اللفظ أو العبارة حتى يقوّى بذلك النغم ، ويشدد على رنين الكلمات ، وجرس الحروف ، فمالوا أحياناً إلى اللفظ الجزل ، والعبارة الصعبة . ولغة الشعر في موضوع القبر تتصف تارةً بغموض المعاني ، وتارة بسهولتها ، ولعلّ هذا التنوع في مستوى الألفاظ من حيث السهولة والصعوبة يعود لحالة الشاعر النفسية المضطربة بمشاعر الحزن والأسى حال تذكره للقبر وساكنه من أحبته وأصدقائه وأهله .

سابع عشر : لا توجد قصائد كاملة مستقلة تصف القبر وتتحدث عنه ، وإنما هي مقطوعات قصيرة وأبيات ، ونتفٌ هنا وهناك اختلطت بشعر الرثاء والحديث عن الموت لذا لا نجد في شعر القبر ما يسمى بوحدة القصيدة أو الوحدة الموضوعية ، وعدم وجود قصائد تتحدث عن القبر ربما يعود إلى إغراق الشاعر الجاهلي في ملذاته وانشغاله بهمومه الحياتية ، فما كان يذكر القبر إلا في لحظات قصيرة ، لا يسمح لنفسه الاستغراق فيها ، إمّا كُرهاً للموت ، وإمّا خوفاً من القبر .

ثامن عشر : عكست أشعار الجاهليين التي تتحدث عن القبر أبعاداً مختلفة هي البعد الديني ، والبعد النفسي ، والبعد الرمزي ، والبعد الاجتماعي الخلقي ، وجاءت زاخرةً بالمعتقدات الدينية والقصص من الموروث القديم ، وكثيراً ما جاءت لغة شعر القبر رمزية وثيقة الصلة بلغة الأسطورة . ونظرة الشاعر الجاهلي للقبر لم تكن مجرّد نظرة عابرة ، وإنّما حاول أن يمنحه إحساساً ويضفي عليه شعوراً من الإنسانية . وأكد الشاعر الجاهلي على حقيقة فكرية رسخت في فكر المجتمع الجاهلي ، وهي أنّ ممارسة القيم الأخلاقية الموروثة في العرف الجماعي سبيل إلى الخلود ، خلود الصيت والذكر ، لا خلود الجسد .

" وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين "